سابعا: هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة.

مكث الرسول ﷺ في مكة بعد بيعة العقبة الثانية بقية ذي الحجة وشهري محرم وصفر، تمت خلالها هجرة جميع أصحابه إلى المدينة عدا من حبس أو افتتن [3]. ولم يبق مع الرسول ﷺ في مكة سوى علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق بناء على طلبه.

ويبدو أن زعماء المشركين في مكة قد أدركوا خلال هذه الفترة مخاطر نجاح الهجرة على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية، فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور فيما يجب عليهم عمله لمواجهة الموقف. قال ابن إسحاق، " ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا "وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه"[4].

وقد أشير إلى أنه قد حضر اجتماع الندوة عدد من زعماء قريش الذين يمثلون عشائر نوفل وعبد شمس وعبد الدار وأسد ومخزوم وسهم وجمح، ويلاحظ أن هذه العشائر كانت قد اتخذت موقفًا مناوئا للعشائر المكية التي ساهمت في حلف الفضول والتي كان بضمنها عشيرة الرسول ﷺ، أي بنو هاشم [5]، فلا عجب أن تعمل على اتخاذ موقف شديد من رسول الله ﷺ.

لقد ذكر ابن إسحاق أن زعماء المشركين تداولوا في حبس الرسول ﷺ أو نفيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خارج مكة أو قتله. وقد أجمع رأيهم أخيرًا على قتل الرسول ﷺ استنادًا إلى خطة اقترحها أبو جهل بن هشام وهي حسب قوله: " نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا نسبياً وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه " [1]، وبذلك يتفرق دمه في العشائر جميعًا، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم فيرضون بأخذ الدية [2].

وقد ذكرت المصادر أن الرسول ﷺ قد عرف بهذه الخطة وأشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] لذا فقد سارع الرسول ﷺ إلى إعداد خطة الهجرة إلى المدينة بصورة تعتمد أعلى درجات السرية من أجل إحباط خطط المشركين ومكرهم [4].

وكانت خطة الرسول ﷺ في الهجرة تقوم على تكليف علي بن أبي طالب في المبيت في فراشه كي يوهم المشركين بأنه ما زال في داره ليلة الهجرة، ثم يقوم باصطحاب أبو بكر الصديق ﷺ في هجرته إلى المدينة.

وقد قام أبو بكر الصديق بشراء راحلتين للسفر واستأجر دليلاً اسمه عبد الله بن أرقط ليصحبهما في سفرهما. كما تولى أبو بكر مع الرسول ﷺ وضع خطة مغادرتهما مكة وتأمين وصول الطعام إليهما بطريقة لا تسمح لقريش باكتشاف موضع اختفائها. وقد ذكر ابن إسحاق "أن الرسول ﷺ وأبا بكر خرجا بصورة سرية إلى غار بثور، وهو جبل بأسفل مكة فدخلاه، وبقيا فيه ثلاثة أيام مختفين يعيشون على لبن أغنام كان يرعاها عامر بن فهيرة مولى أبو بكر الصديق بالإضافة إلى طعام كانت تأتيهم به أسماء بنت أبي بكر [5]. حتى إذا خف الطلب ويئست قريش من العثور عليهما خرجا من الغار واتجها صوب المدينة سالكين طريقا" غير الطريق الاعتيادي المألوف الذي كان يسلك الوديان والسهول الساحلية "وكان أبو بكر يعرف هذا الطريق وأهله من سفراته السابقة إلى بلاد الشام" [6].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد استغرقت رحلة الرسول ﷺ إلى المدينة منذ أن غادر الغار في جبل ثور في 4 ربيع الأول، إلى أن وصلها في 11 ربيع الأول من عام 13 للبعثة المصادف 24 أيلول سنة 622م ثمانية أيام. وكان يصحبه في هذه الرحلة أبو بكر الصديق ودليلهما عبدالله بن أرقط وعامر بن فهيرة[1].

لقد كان أهل المدينة يترقبون وصول الرسول ﷺ كل يوم إلى مدينتهم بفارغ الصبر بعد أن سمعوا بخروجه من مكة، وقد ذكر أنهم كانوا يخرجون للقائه في كل يوم من بعد صلاة الصبح ويبقون في انتظاره حتى يشتد عليم الحر فيعودون إلى بيوتهم. وقد وافق وصول الرسول ﷺ قباء وهي ضاحية على حدود المدينة في وقت الظهر، وكان الأنصار قد عادوا إلى بيوتهم فشاهده أحد اليهود فراح ينبه أهل المدينة بقوله: يا بني قيلة هذا جائكم قد جاء [2]. فخرج أهل المدينة لاستقباله فرحين. وقد قدم لنا أنس بن مالك وصفًا لاستقبال أهل المدينة للرسول ﷺ وحفاوتهم به بقولهم: "إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا، قال حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن بها الأنصار فاستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليها فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى إن العوائق - أي الحرائر الشريفات - فوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو، أيهم هو؟ فما رأينا منظرًا شبيها به"[3].

إن الوصف المتقدم يدل على أن وصول الرسول ﷺ إلى المدينة كان بمثابة عيد للمسلمين حيث خرج لاستقباله حوالي خمسمائة رجل من الأنصار معبرين عن ترحيبهم وسرورهم بمقدمه. وقد شاركهم في التعبير عن هذه المشاعر النساء والأطفال.

ولم يعكر صفو هذا الاستقبال الحافل أي مظهر من مظاهر المعارضة أو الاستياء المعلن من غير المسلمين، سواء أكانوا من المشركين أم من اليهود مما يدل على قبولهم الضمني لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وهكذا فقد تشكل موقف أهل المدينة من الرسول ﷺ استنادًا إلى المعطيات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاجتماعية والعقائدية على النحو آلاتي:

1. المسلمون من الأوس والخزرج، وكان ولاؤهم للرسول ﷺ كاملا بحكم إيمانهم بأنه رسول الله إليهم ومبايعتهم له على السمع والطاعة. وكان يشاركهم هذا الموقف بطبيعة الحال إخوانهم المهاجرون الذين وصلوا إلى المدينة قبل وصول الرسول ﷺ بفترة وجيزة.
2. المشركون من الأوس والخزرج، وكان موقفهم يقوم على التضامن مع قومهم المسلمين استنادًا إلى الأعراف والتقاليد العربية التي توجب على أبناء القبيلة التضامن واحترام حقوق بعضهم بعضًا في منح حق الجوار لمن يطلبه وإقامة التحالفات مع الأفراد والجماعات.
3. اليهود، كان يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وغيرهم من يهود المدينه حلفاء للأوس والخزرج. ومن ثم فقد كانوا ملزمين باحترام عهود حلفائهم والتضامن معهم في مواقفهم العامة. لذا فقد أظهر اليهود ترحيبهم بمقدم الرسول ﷺ إلى المدينة. وربما توقعوا أن تجلب هجرة الرسول ﷺ إلى مدينتهم الأمن والاستقرار الذي افتقدته بسبب الصراع الشديد بين مختلف الفئات المتنافسة.

لقد كان عمر الرسول ﷺ حين وصل المدينة حوالي ثلاث وخمسين سنة، أمضى ثلاث عشرة سنة منها بدعوة قومه إلى الإسلام، فلم يستجب له منهم إلا القليل، وقد هاجروا معه إلى المدينة، موطن الدعوة الجديد، فكيف ستكون السنوات القادمة بين هؤلاء المؤمنين الجدد، وما المصاعب والتحديات التي سيواجهها على طريق بناء مستقبل الدعوة في مرحلتنا الجديدة.

إن للباحث أن يتصور أن الرسول ﷺ قد دخل المدينة وهو يتمثل في ذهنه الآيات القرآنية التي أذن الله تعالى له بموجبها في الهجرة من مكة إلى المدينة [1]: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [2].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner